Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أكثر وعيا بالصورة ، واكتشافا لاتجاهات الشاعر ومنحاه فى تكوين الوثبة وعلاقة الوثبات . وفى وقفة أخرى مع دور الخيال فى صياغة الصورة متوحدا مع الفكر أو مشكلا له كان من الضرورى أن نعرف شيئا عن أثر الصورة من الناحية النفسية ، فهى منبه ومثير ، وبخاصة حين يكون النمط مجازيا يستخرج الدلالة الصحيحة من غير معدنها . وفى هذا الفصل كان ضروريًّا أن نحصر الجهد نسبيًّا فى جهود البلاغيين ، وقد رأينا كيف اهتمت هذه الجهود بالتشبيه أولا ، وبالاستعارة ثانيا ، وربما كان العكس هو الأحق ، على الأقل باعتبار أن المادة المتوفرة للباحث فى هذا المجال شعرية فى أساسها . على أن الكناية – وهى القسم الثالث فى علم البيان – لم تحظ باهتمام كبير ، اكتفاء بأنها قسم من أقسام المجاز ، ففيها جانب مما فى الاستعارة ، إذ لابد من علاقة ، ولكنها متحررة من القرينة ، فليس ثمة ما يمنع من إرادة ظاهر ما تدل عليه ، أى أن لها قدرا من الاستقلال ، وبهذا تقترب من التشبيه فى المستوى الإدراكى الذى تنبعث عنه أو تثيره ، فحين يقول النابغة فى الغساسنة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

فهو كناية عن الترف والشرف ، وهذا نوع من التجريد المعتمد على القياس ، وليس فى اللفظ ما يدفع أن يكون المراد هو إثبات هذه الأشياء بذاتها لهم .

هذا قول القدماء ، ولكن بعض الكنايات تستقل عن معالمها الحسية ، وتمضى مع الدلالة غير عابئة بغير تجسيد هذه الدلالة تحسينا أو تقبيحا ، فحين يقول المتنبى مثلا :

بكل أرض وطئتها أمم ترعى بعبد كأنه غنم
يستخشن الخزَّ حينَ يلمسه وكان يَبْرِى بظفره القلم

إن الكناية فى الشطر الأخير مما لا يتصور حمله على الحقيقة ، ولكنها أدت دورها فى تجسيد البشاعة والخشونة بشكل حاسم لم يلغه التعبير المجرد المباشر فى الشطر الأول من البيت نفسه(٤٧) . ولكى نحسم قضية الدلالة المزدوجة للكناية لنتأمل هذه الأبيات لذى الرمة ، وفيها

---

(٤٧) تأمل وحدة الوثبة فى هذين البيتين وتأثيرها فى انتقاء المفردات ومكونات الصور ، فى العلاقة بين الأرض والدوس والمرعى ، والغنم (الصوف) والخشونة والحرير (الملمس) والظفر (أقرؤها الظلف) والقلم ، وكذلك تأمل طابعها الشعبى العجيب .